غفران

نظر إلى ضيوفه الغرماء وساءلهم بنبرة المستنطق: هل تعلمون من هو منصور؟! إنه نسمة صباحية تنشر في الأجواء السعادة... يدخل المنزل فيزدهر، يضحك معي... يسلي والدته... يلاعب إخوته... يملأ جوانحنا بالحياة... يتلمس حاجاتنا قبل أن نطلب منه ذلك.

منصور درة ثمينة لا تقدر بثمن، جيش كامل من الأبناء لا يمكن لهم الحلول مكانه! فهو قامة لا تُضاهى، وهو سؤدد تليد لا يُجارى، وهو متنفس لكل الممتحنين، ومأوى لكل المنكوبين، وسبيل سعادة لكل المنكودين، وملاذ آمن لكل المعوزين... ابنكم أنهى كل ذلك في ثانية واحدة وبسبب نعرة ماجنة، وتريدون منا التنازل عن دمه!

قبل والد القاتل أنفه وتوسله بكل ما يتوسل به المتوسلون: أرجو أن تهبنا زلته أيها الرجل الكريم.

زلة! إنها قتلة... ابنكم قتله لأنه اختلف معه في شؤن دينية خلافية فماذا سيكون ردكم لو كان ولدكم القتيل وولدي القاتل؟!

نسامحه.

لا تفعلون وا.

لا تحكم علينا من خلال تصورات خاطئة، أرجو أن تتحرك فيك الرحمة فولدي قد أخطأ ولا شك في ذلك ولكن هل من المناسب معالجة الخطأ بالخطأ؟!

بل بالعدل والحق.

العدل! وماذا عن الغفران الذي أخذتموه على أنفسكم؟!

لم يتمكن والد المقتول من الرد فتلك حقيقة ومدع متجذر فيه وفي قومه توارثوه كابرا عن كابر وأدرك جيدا أن هذا يوم تبلى فيه السرائر وتمحص الحقائق من الأكاذيب فوجم قليلا يخير نفسه بين المبدأ والنعرة وتفكر في أكابره وما ورثه عنهم من دماثة خلق وحسن صفح عن المسيء وفي نفس الوقت تذكر ولده

المغدور وما كان يمثله من قيمة عميقة في الحياة أهدرت هباء! كان يمكن أن يعيش ويغرس أزهاره بنفسه فتُملأ الحياة بالجمال والأفانين لكنهم أنهوا كل ذلك بلحظة غضب! وها هم أولاء جالسون يرومون صفحا وغفرانا كي ننال عذابا وحرمان فيا لها من قسمة ظيزى، ولكن...